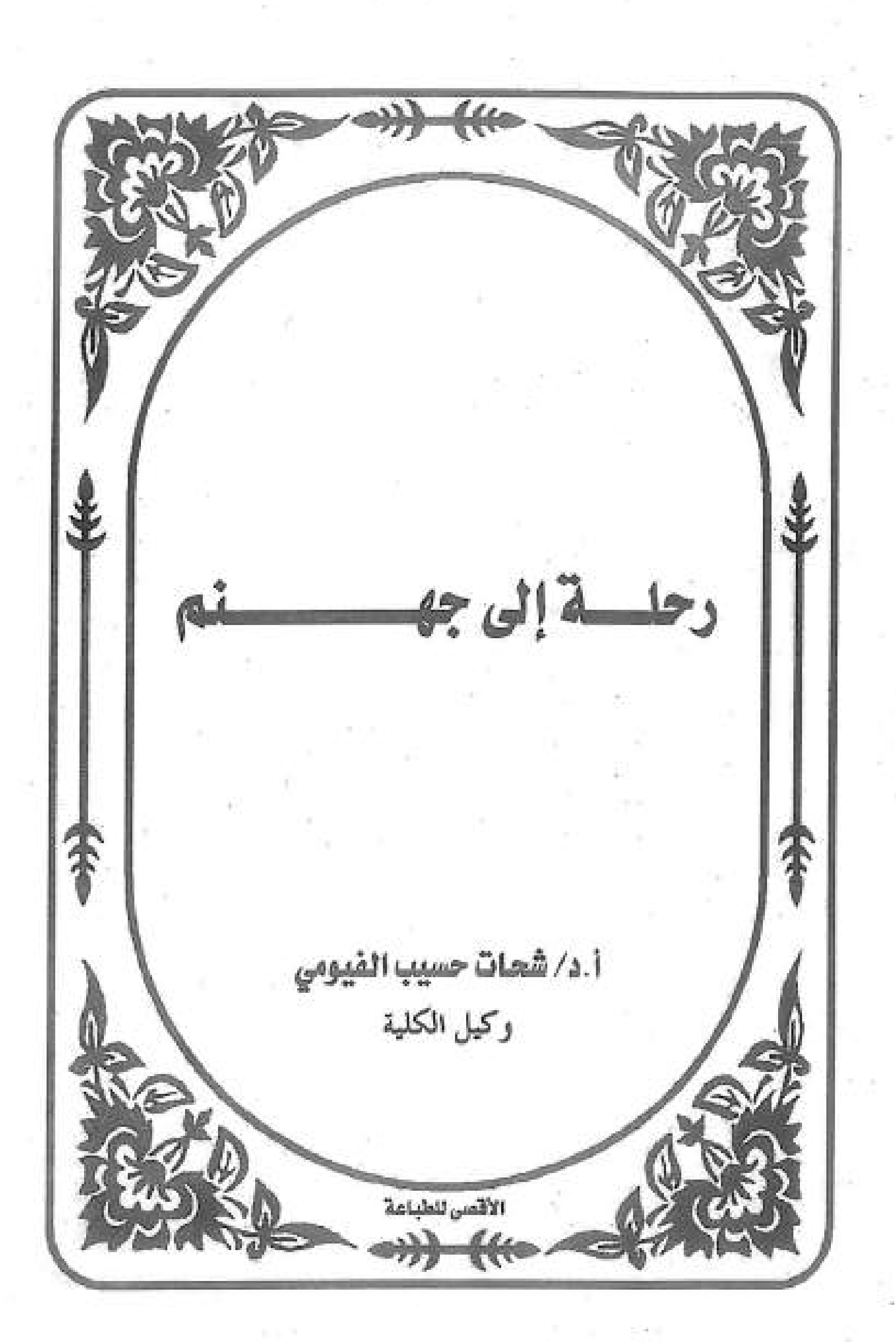


رحلة إلى جهنم

أ.د/ شحات حسيب الفيومي
وكيل الكلية

الأقصى للطباعة

رحله الى جهنم

أسباب هذه الرحلة:



حضارات الأمم بتقدمها العلمي والتكنولوجي وآثار ذلك على شعوبها - وتجاوز هذه الآثار من حدودها إلى الأوطان الأخرى . وتسمو هذه الحضارات إلى الآفاق . إذا كانت مؤسسة على قواعد المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية وعدم التدخل في شئون الدول الأخرى.

فكل دولة تدير شئونها بما يتلاءم مع أحوالها ولا تملي أي دولة مهما كانت قوتها شريعة الديمقراطية على غيرها لأنه إن رضي شعب بظلم حكاية واستكان لهذا الظلم . واستمرأ الخنوع. وخاف غياهب السجون. وهاب الأصفاد والقيود فإنه رضي أن يكون قطعياً من قطعان الأغنام . يسهل على الراعي سياسته وتوجيهه . فيكون هو الرائد والموجهة لهذا القطيع . وما يراه حسنا فهو حسن. وما يراه قبيحاً فهو القبيح. وأما القطيع فليس له إلا أن يأكل من المراعي التي يستطيبها الراعي وليس لأحد من القطيع أن يثغو في وجه الراعي.

فأن ظلت الأمور سادرة على هذا الحال فلا تتقدم هذه الأمة وإن طال الزمن . بل تنتقل من سئ إلى أسوأ وكلما تولد مشكلة لا تجد من يئدها بالعلم والعقل والتفاهم .فتتفاقم المشاكل وتملأ سحبها السود السماء .فتمطر ودقاً حمضياً يقتل ويهلك . ويطبق المشاكل . وتضيق المراعي . ويزداد عدد القطيع . وتتجدد المشاكل. ويندر الطعام. ويشح الماء. ويصعب على الراعي حل المشاكل والعقد الاجتماعية . فيظهر التمرد ويبرز على السطح الاجتماعي العصيان فيغوص في بحار المشاكل التي استعصى حلها . هذا هو المجتمع الذي رضى بالواقع خائفاً وجلاً.

وقد يهب المجتمع فيكسر القيود والأغلال التي رسف [1] فيها والتي أدمت تعاصمه [2] ويصحح مساره بعد أن أنهكته القيود. وأوهنته المشاكل. وأضعفه الفقر .

(١) مشى في القيد.
(٢) معاصم : جمع معصم :وهو موضع السوار

الأفراد الذين بدءوا الرحلة:

ثلاثة من المجتمع الذي رضى بواقعة : بينهم قاسم مشترك . الحرف الأول من أسمائهم واحد. فكانوا في فصل واحد في مراحلهم التعليمية: الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية.

الأول: أمجد . ووالده يعمل قاضياً في وزارة العدل .

والثاني: أشرف ووالده فلاح يملك قراريط تعد على أصابع اليد الواحدة .

والثالث: أيمن : يعمل واله في حرفه النجارة " باب – وشباك " دخل التلاميذ الثلاثة الفصل الأول الابتدائي فكانوا في فصل واحد وتجاوروا في المقاعد وظلوا كذلك طوال السنة الأولى .وهذا ساعدهم على الارتباط الدائم في كل سنوات الدراسة أخذوا ينتقلون من سنه إلى سنه ومن مرحلة إلى مرحلة حتى دخلوا الثانوية العامة . وبعد أن قضوا سنتهم الأولى . همس القاضي في أذن ولده "أمجد" بأن يسلك القسم الأدبي . والقاضي يرمي للمستقبل فأنه سيرث مقعد واله في وزارة العدل إن حصل على شهادة الحقوق . ككلية الشرطة فمعظم طلابها من أبناء رتب وزارة الداخلية . همس القاضي في أذن أمجد. وراح أمجد يصرح بميوله لزميليه أثناء النزهة الصيفية على الرياح المنوفي وأثناء الجلوس على حافة النهر بالقرب من المياه التي ارتفعت أمواجها فكانوا يتجاذبون أطراف الحديث وكان حديثهم ذا شجون . تعددت مناحيه واختلفت اتجاهاته.فواحد يحكي عن قصة حبه مع ابنه العم وهذا ليس بحب بل مصدره الخواطر الفطرية . والثاني يجد لذة في الحديث عن مسابقات كرة القدم. فهو يعشق الأعلى فهو يحتفظ بصور الفريق في مدخل بيته . والثالث : يحكي عن آلامه ومتابعة الأسرية فأحاديثهم مختلفة ربما سرقهم الوقت فلم يشعروا إلا والليل قد ضرب بأستاره فينصرفون.

لقد بث فيهم أمجد ميول والده وأعلن أنه سيطرق القسم الأدبي. وتبعه زميلاه أشرف وايمن .مرت السنة الثانية الثانوية وهم يدرسون مواد القسم الأدبي فحفظوا القصائد الشعرية المقررة عليهم وفهموا معنى الأدب العربي . وفهموا الأسس التي تقوم عليها القصة . وفهموا الراوية وتاريخهما والوصايا والخطب. وفهموا المقال. أما القصائد الشعرية فعرفوا منها الأغراض الشعرية العربية وعرفوا الأساليب البلاغية والصور الجمالية. فدعهم ذلك إلى الإلمام بالأدب العربي فراحوا يحفظون قصائد شعرية خارجية عن المقررات .

وفي يوم التقى بي الثلاثة فوجدتهم يطلبون مني أن أصحح لهم قصيدة تتعلق بالشاعر الذي لا تغيب شمس قصائده وهو الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي. فقرءوا بعض الأبيات فلم اسمعها ولم أقرأها قبل ذلك فقالوا لي إنها "رثاء" لإبراهيم ناجي " وهي قصيدة للشاعر محمود غنيم : رحمه الله .

ولحلاوة هذه الأبيات أسوقها للقارئ يتلذذ بها في زمن أطلت علينا الفضائيات بالجهل والكلمات العفنة والألفاظ البذيئة والأجساد المرتعشة . فأفسدت علينا حياتنا الثقافية . ويبدوا أن الأباء والشعراء لم يجدوا العالم الصالح لغرس ثقافتهم . فأثروا البعد عن هذا العالم الذي باتت ثقافته الفضائيات والاشتغال بالحياة ومصاعبها فالضروريات لا يحصلون عليها إلا بشق الأنفس والعلماء يؤلفون الكتب ولا يجدون من يشتريها وأنا واحد منهم لي ثلاثة كتب:

١- الحب من منظور إسلامي.
٢- الأئمة الأربعة.
٣- عقد الجمان من أسئلة القرآن.

لم أملك طبعها وتسويقها . فأخذها من ينشرها . والثمن الذي تفضل على هو نشر مؤلفاتي فقط مقابل نذر يسير من المقال واستأثر هو بها وليس لى منها

الا كتابه اسمي عليها أو أخذ منها خمسين نسخه أهديها الى الحبايب. ونجوع ويجوع الأبناء ويكون حظ العلماء من الدنيا كما قال : الإمام الشافعي :

لو كان بالحيل الغني لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغني ... ضدان مفترقان اى تفرق[1]
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ... ذو همه يبلى برزق ضيق
ومن الليل على القضاء وحكمه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق
ان الذي رزق اليسار فلم ينل ... أجر ولا حمداً لغير موفق
والحد يدني كل أمر شاسع ... والجد [2] يفتح كل باب مغلق[3]

فالشغل بالعلم صار تجارة مربحة للآخرة وفي الدنيا ضياع وخسران وجوع ولقد قال الشاعر : محمود غنيم عن أولاده:

عصافير زغب تـوز عن ريشي ... وخلقتني مثل طير سجين
حياتهمو شغل شاغل ... وفقد همو لوعة لا تبين
وما أرخصت قدرهم كثرة ... ولا هان غث وعز سمين
أفكر في غدهم فاحس ... بداءٍ يخامر صدري دفين
إذا أنا مت وخلفتهم ... فلن يرثوا غير شعر رصين
بني مدينون لي بالشقاء ... واني لهم بالشقاء مدين[4]

من أجل هذا أفلت شموس الثقافة العربية ولا يبحث عنها الا من المضطرون أهل الدراسات العليا: فعم الجهل وانتشرت الثقافات المفروضة عليها من أمريكا خاصة ومن الغرب عامة وصار عمال الأقدام أغنى من عمل العقول لاعب كرة قدم يحصل بعمل قدميه الملايين وعمل العلماء لا يجني الا الملاليم طالعتنا بعض الصحف عن لاعب يدعي الشاطر طلب من نادي الزمالك ان

---

(١) الحجا : العقل

(٢) الجد: الحظ .

(٣) ديوان الشافعي ص٩٨ .

(٤) ديوان محمود غنيم ص٤٦٨ .

يسمحوا له بإعارة إلى بعض الأندية السعودية ثلاثة أشهر لينقذ النادي من الهبوط في الدوري مقابل مليون ريال سعودي غير المكافآت وشعر اللاعب بالثراء وبطعم المال فزاد في المدة حتى يزيد الحصاد فوقع خلال بينهما أي بين النادي وبين اللاعب . هذا واحد من مئات اللاعبين أما المحترفون فهم أصحاب الغنى بحق وأهل اللعب واللهو - وأنا لست من المحرمين للرياضة خوفاً من أن تلتصق في قفاي بطاقة إرهابي - أهل اللعب والهوى صاروا ملوكاً لأهل العلم الفقراء .

- عالم غريب عجيب ما ينفع الناس في الدنيا وفي الآخرة يورث الفقر واللعب واللهو يورثان الغنى؟

عودة الى قصيدة الطلاب الثلاثة :

أعجبت بقصية رثاء ابراهيم ناجي والتي قالها الشاعر محمود غنيم: وأنا أصحح بعض الكلمات للطلاب الثلاثة وهي:

ناجي ببطن الأرض ناج احبتي	وأنقل اليهم في الثرى أشواقي[(١)]
صف للأحبة والقينا بعدهم	واذكر لهم انا على الميثاق
ولقد فقدتك فافتقدت مدامعي	فوجدتها نزحت من الآفاق
انفقت دمعي في وداع احبتي	يفني كثير المال بالإنفاق
فتبك أحاقي بذوب حبوبها	ان لم تجده بدموعها أحاقي
ياراقي المرضى وكاشف ضرهم	هل للحمام وسهمه من راق[(٢)]
من كان ترياق العليل قضى ولم	يعثر لعلته على ترياق
ماذا اصاب الطب في أسطونه ؟	ماذا كبا بجواده السباق؟
مات الذي يأسو الجراح بطبه	ويبشره والبشر طب واق[(٣)]
يستقبل المرضى بوجه باسم	صاف صفاء مدامع العشاق
ودعابه تقضي على الأشجان ما	جرحت ولا تدنت عن الأذواق

(١) ناجي : الأولى نداء للشاعر ابراهيم ناجي والثانية: ناج: فعل أمر بمعني : أدع .

(٢) الحمام: الموت

(٣) يأسو: يداوي

رفاء اجسام بـرم قـديها ... بانامـل مـثل الخـيوط دقـاق[1]
يـا حـاملاً كـاس الـشفاء بكفـه ... اتموت مـن ظمـا وأنـت الـساقي
قـد كنت ان أرق عراني مفزعي ... فغـدوت انـت الـسر في ايراقـي
الهم بعدك فوق صدري جاثم ... والغـم بعـدك آخـذ بخـناق
والقلب بعدك لـج في خفقاته ... فمـن الطبـيب لقـلبي الخفـاق
يـا واصـل الأجـال بـالله في ... دنـيا الفـناء وواصـل الأرزق
قتلـتك نفـس حـرة عملاقـه ... حلـت بجـسم لـيس بـالعملاق
للطب كـنت وللقـريض والـندى ... يـا كوكـباً مـتعدد الآفـاق
قـالوا شفى الأبدان قلت : وشعره ... طـب وصـحة الأخـلاق
ثم أمنا يكفيك ما عانيت في ... دنـياك مـن عـنت ومـن ارهـاق
تـرهبن مـن المقابـر وحشة ... يـا صـاح فهـي كـثيرة الطـراق[2]
لا تحسبن المـوت بيـناً انـه ... بـين الأحـبة مـوعد وتلاقـي[3]
لا تـاسفن علـى الحـياة فإنـه ... كانـت ومـا زالـت مجـال نفـاق
بـين الحـياة وبـين كـل فـضيلة ... حـرب علـى قـدم تقـوم وسـاق
يهنيك أنـت حللـت دار مثوبة ... وحللـت دار تناحـر وشـقاق
إن الحـياة كمـا علمـت سلاسل ... مـن فـضة دارت علـى الأعـناق
حلـق بـروحك في سمـاء حـرة ... لم تخلـق الأطـيار للأطـواق
مـا أنـت إلا صـاح قـد فـرقين ... قفـص الحـياة وفـاز بـالإطلاق[4]

قمت ببيان الأبيات وتصحيحها للطلاب والحقيقة أنهم ذهبوا ليلتهم وعادوا في اليوم الثاني يحفظنها كأسمائهم توطدت العلاقة بيني وبينهم وأخذوا يقرءون كثيرا من الشعر العربي من كل العصور وانتهت سنوات الثانوية العامة ودخلوا كلية الحقوق التي قادهم إليها زميلهم "أمجد" نجل المستشار كانت مرتبه " أمجد"أقل من زميليه فكان النجاح بتقدير " مقبول" في السنوات الأربع . أما

(١) رفاء: يخيط الأجسام التي تمزقت . ومثاله الرفاء .
(٢) يا صاح : ترخيم : حذفت من المنادي الياء . والمعني يا صاحبي المقابر كثير الطراق فهي تطرق في أى لحظة .
(٣) البين:هو الفراق والبعد .
(٤) هذه معظم أبيات القصدية .

زميلاه فأحدهما بتقدير " امتياز" والأخر بتقدير "جيد جدا " وبدأ أمجد ينحو نحوا بعيداً عن صديقيه وخرج الثلاثة من الجيش بتأجيل ثلاث سنوات بعد امجد وطفق أشرف وأيمن يبحثان عن عمل فاتجها الى القاهرة فانتقلا من عمل الى عمل كانوا يعملون في شركة " التوحيد" من التاسعة صباحاً حتى الثانية عشر منتصف . يدفعون إيجارا للسكن ويأكلون ويشربون وفي نهاية الشهر يوفر كلاهما مائه وعشرين جنيها وعملهم يحملان على كاهليهما الأثقال طوال اليوم ولق كشف كل واحد عن كتفه فوجدت جلداً قد مات وإسود الكتف دون بقية الجسد. أخذت أمزح معهما وأضحك فسمعت أصواتاً خرجت من قلوب يائسة يائسة محطمة الضحكات تخرج من أطراف السنة لا تتحرك لها إلا بعض عضلات الوجه ذراً للرماد في العيون . ولكنها تنبئ عن مركز إعصار في القلب لو خرج إلى الوجود لقتل كل حي ودمر كل عامر هذا الإعصار يحمل الموت والنار والدمار. انصرف الاثنان اشرف وايمن وبعد يومين التقيت بهما فسألتهما عن " أمجد" فرد أحدهما مع تنهيدة معها زفير كأن هواءه مر على جهنم عند خروجه. والأخر رد بصوت توارى وراء جبل من اليأس ولكنهما قالا في صوت واحد " عين في النيابة "

وسداد الصمت وما هي إلا أنفاس لا يشعر بها إلا أصحابها فقطعت السكون بكلمة أطلقتها " أرزاق" وصمت ولم أكمل" قسمها الخلاق" لأنها ستفتح بابا يلج منه الشيطان فيعترضان.

فقال : أشرف يا أستاذنا أهناك عدل على هذه الأرض . فلم أرد وما نبث ببنت شفة فلما وجد الإجابة صمتاً قال لي: بجانبنا في " كفر ...." رجل عمل مستشاراً في وزارة العدل له ولدان مجموعهما في الثانوية العامة لم يدخلهما كلية الحقوق قد خلا كلية جامعة بيروت بالإسكندرية ونجح الاثنان بالتقدير الشعبي . فقلت له. وما التقدير الشعبي ؟ قال: بمقبول وعين الاثنان في النيابة وصارا قاضيين وأعرفهما كما أعرفك. ولم أجد في جبعتي [1] شيئاً أرد به عليه . فآثرت الصمت لأنه خير آجابه.

---

(١) الجبعة : بفتح الجيم وسكون العين: وعاء السهام.

قلت لهما : هل تعودان إلى شركة التوحيد في قاهرة المعز. قالا لي في نفس واحد " قاهرة المذل" لن نذهب حتى لا نفقد صحتنا ، ونضيع أعمارنا وساح الأثنان في الأرض.

لقاء بعد طول غياب

بينما أركب سيارتي في طريق القاطرين مركز أشمون ما بين قرية " منيل دويب" " وعزبة الفرعونية" وأنا بحذاء المصرف الذي يمتص مياه الري الزائدة عن الحاجة ويمتص من مياه الترع. وهذا المصرف لا يتعامل معه البشر لعمقه ولأن النباتات تغطيه وتسكنه الأفاعي . وجدت خمسه من الشباب يرتون ملابس باليه قيمة غطى الطين ألوانها وذهب بمعالمها. فكبجت جماح السيارة فسارت ببطء فرأيت بين الشباب الخمسة أشرف وأيمن فقلت : يا ولد يا أشرف . يا ولد يا أيمن فأتيا على استحياء . طأطأ كلاهما رأسه فقلت لهما ماذا تفعلان؟ قالا : نحن نصيد سمكا من المصرف بهذه الشباك لقد كونا فريقاً لصيد السمك من هؤلاء الشباب ومع كل واحد منا دراجة يتحرك عليها وشباك يصيد بها الفريق وفي نهاية اليوم نقسم الصيد بالسوية.

وماذا تفعلون مع الأفاعي والذئاب التي تسكن المصرف والطفيليات والبلهارسيا قالا : الحياة مع الأفاعي والذئاب والأمراض المتواطنة خير من حياة البشر.

وقرأت في أعينهما قولا: عنا في العذاب واذهب الى وجهتك . فنحن أجيال ولدت ميتة في عالم ماتت فيه الأحاسيس والمشاعر. وصارت القلوب صخراً قاسياً بل الصخر أرحم من قلوب البشر لأن الله تعالي قال : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] .

تركت لشبان وظني أن عملهما فيه متعة حيث انهما من الريف وأبناء الريف يجدون لذة وهم بين .الطين والماء والنبات.

---

(١) سورة البقرة آية ٧٤ .

مرت الأيام ولم يكن بيني وبينهما لقاء إلا في أيام الشتاء حينما كان المناخ سيئاً وكان البرد شديداً ولا يستطيع إنسان أن يواجهه هذا البرد. ففي الساعة السابعة صباحاً من أيام شهر " طوبه " وكان ثاني يوم من السدة الشتوية والتى تسد فيها الأنهار والترع فلا تجري بالماء حتى تطهر من الحشائش وغيرها. وجدت فى ترعة النعناعية كثيرا من الشباب يمسكون بالشباك وبأقفاص الصيد اليدوية ويتحركون في المياه التى وصلت الى أنصاف اجسادهم وهم يرتعشون من البرد . فرأيت بينهم أشرف وأيمن ووقف على شاطئ الترعة غلمان يحملون ملابس لهؤلاء الشباب الذين يقومون بالصيد. وهؤلاء الغلمان قد اوقدوا نيرانا من الحطب. فيخرج الشباب من الماء البارد فيستدفئون ثم يعودون الى المياه يصيدون لم أستطع وأنا أركب سيارتي أن أفتح النافذة وأكلم اشرف وأيمن خوفاً من البرد.

ما الذي دفع هؤلاء الشباب الى نزول الترعة أخذ هذا السؤال يجول بخاطري وظل يطفو على سطح الأفكار تارة ويختفي أخرى حتى انساني التفكير فيه لسعه البرد وآلامة.

ظل الفتيان يعملان في صيد السمك من الترع والمصارف . أصابتهما البلهارسيا مراراً وعولجا منها مراراً فتكررت اصابتهما وتكرر علاجهما وأصيبا بنزلات برد. وتكررت اصابتهما حتى أورثت أيمن مرض الربو وحساسية في الصدر.

لم يقدر " أيمن " على مواصلة عمل الصيد في الترع والمصارف فترك صديقه " أشرف " فذهب الى محام يعمل معه بأجر بسيط حتى يتعلم مهنه المحاماه وظل أيمن ينتقل بين المحاكم الجزئية والكلية يأخذ من الأستاذ صاحب المكتب أجراً لا يسمن ولا يغني من جوع ولا يستر له جسداً.

وشغل أيمن بعمله وبعد ثلاث سنوات لختفى خلالها أشرف وانقطعت الصلة بينه وبين أيمن . ولم يعرف أهله وجهته ولا البلد التي ذهب اليها.

وفي شهر رمضان لسنه١٤٢٦ هـ عام لسنه ٢٠٠٥ ومنذ شهرين طرق الباب علينا طارقان طلبا مقابلتي وجت شابا أطفأ الحزن نضارة شبابه وجعله كهلاً تحسبه حين تراه كأنه في العقد الخامس. ومعه رجل كأنه بعث من القبور لحيته طويلة اختلطت بشاربه عرفته من عينيه قال أنا عبد الرازق "يا دكتور" قلت لهما تفضلا قد خلا معي الى مكتبه المنزل وجلسنا. دمع تزرف من الشاب والرجل العجوز مكثنا طويلاً ابتلت لحيه الرجل وغسلت الدموع وجه الشاب ساعد على ظهور الزفرات الحارة التي تخرج من قلوب احرقها الشجن[1] ساعدها على الظهور سكون المكان فقلت مالك يا شيخ عبد الرازق؟

لم ينطق بكلمة ولكن ابنه رد على بصوت متهدج [2] قال : لقد حلت بنا مصيبة قبل شهر رمضان بخمسه أيام وأمسكت أنفاس ما هذه المصيبة؟

قال : لقد انتحر " أيمن " وكان الخبز على كالصعقة لقد ذاق أيمن عذاب الدنيا من فقر وحرمان وجوع ومرض ولقد وضعه حب التعليم على طريق الأشواك ونهايته ميدان مجهول.

لقد أثرت نهايته المؤلمة في مشاعري وأحاسيسي ومرت الذكريات على خطاري كأنها ومضات تحرق . مرت نصف الساعة لم أنطق ولم ينطقا . كأنها نصف ظلماء اشتدت ظلماتها وصاحبها رعد وبرق وودق فقلت لأخيه حدثني عن الأيام التي سبقت الأنتحار.

قال أخوه : لقد خطب فتاة تعمل في مهنة المحاماه . واتفقا على الزواج وأخذ يجهز فوجد الأمر ليس بالسهل إن أهلها يريدون ذهبا للشبكة كأبنة عمها ويريدون ثلاث حجرات فوجد الأمر يحتاج الى ثلاثين ألفاً من الجنيهات ليس سوى ألف واحد في يده فنام بجانبي قبل انتحاره بخمسه عشر يوماً فنحن ننام على سرير واحد في حجرة واحده في بيت متواضع في عزبة " الشيخ ابراهيم " تابعة لقرية " مسانون" مركز أشمون .

(١) الشجن: الحزن .
(٢) متهدج: متقطع مرتعش.

لقد حطمه اليأس لقد مات أخي ثلاث موتات :

الأولى : حين لم يقع عليه الإختيار في النيابة لفقرة وأقل تقدير منه عمل في النيابة.

والموتة الثانية : حين لم يقع عليه الإختيار في مجلس الدولة.

والموتة الثالثة: هي ثمرة اليأس وهو العجز عن الوفاء بغول الزواج.

لقد قال في ليلة : يا أخي عذاب الدنيا أتعلب فيه وفي النهاية سأموت.

إنني سأنتحر قمت من الرقاد وقلت له : " انت تجننت" يا أيمن قال : لا طعم للحياة في خضم هذه المتطلبات وطريق الحرام سهل وفي نهايته السجن وغايته عذاب جهنم.

قال: نهيته عن مجرد الحديث عن هذه الفكرة . رغم أنه أكبر مني بعامين. ولم أكن أتصور أن فكرة الإنتحار ستستقر في عقله.

وهذه بعض النماذج التي تذرف لها العيون وتندي لها الأجبنة: (١)

الأول : دخل مكتبي أخي فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن المراكبي ومعه الدكتور/راشد محمد راشد وهو متفائل بالمستقبل السعيد وآماله وردية نضرة تبثت في وجدانه من خمس وعشرين سنه. ومازالت على نضارتها فلم تذبل ولم يجف لأنه يسبقها برحيق الرجاء ويحميها من عواصف اليأس وهو يعرف ما أسطره.

قال الدكتور/ عبد الرحمن نريد أن نتوسط لدى شيخ المنطقة الأزهرية فضيلة الشيخ / محمد قطب خضير لإنسان فقير حصل على ليسانس كلية أصول الدين من قسم العقيدة لأن يعمل عاملاً " فراشاً " في المعاهد الأزهرية لأن هذه الوظيفة هي الميسرة في هذا الوقت ورضى الرجل الفقير بها ولكنهم استبعدوه لأن بطاقته مدون فيها انه حاصل على الليسانس فرض بالهم والهم استحقره

---

(١) جمع جبين وهو ما فوق الصدغ من يمين الجهة أو شمالها . ويجمع أيضاً على أجبن

فردوا اوراقه وقالوا له بغير بيانات البطاقة ليعين فراشاً تحدث معنا الدكتور عبد الرحمن وهو شارد الزهن وكأن هذا الأمر كإعصار تسونامي أو كزلزال باكستان.

فقلت له : يا مولانا هو ن على نفسك يا سيدي وخذ هذا النموذج

الثاني:

الطالب : فتحي قطب من قرية رملة الانجب : دخل كلية أصول الدين بالمنوفية عام ١٩٨٤ ودرست له في قسم اندثر وراح وهو قسم التفسير والحديث وحل محله قسمان هما قسم التفسير وقسم الحديث. وذهبت الى الإعارة وكنت أعرف هذا الطالب لأنه الفقر يمشي على الناس . وفي عام ٢٠٠٢ وجدته في لجنة الأمتحان فسألته فأخبرني أنه يحمل مادة القرآن الكريم للفرقة الرابعة منذ سنتين وظل يدخل امتحانها حتى نجح فيها:

وتقدم لمسابقات الأوقاف فلم يحالفه الحظ وطيلة هذه السنين كان يعمل في الفاعل بالفأس حتى صارت يداه كرجلة في الخشونة.

فأراد ان يعمل في عمل متواضع فتوسل الى جماعة قد أقامت مسجداً وهموا بضمه الى الأوقاف ورجاهم أن يكتبوا اسمه ليعمل عاملاً في المسجد فيأكل من هذا العمل وكتبوا اسمه بيد انهم غيروا الكشف عند تقديمه للأوقاف وحذفوا منه أسم " فتحي قطب" وعندما استلمت الأوقاف المسجد ابعد الرجل ووضع مكانه رجل من الحبايب مستور الحال وعنده أرض زراعية يزرعها.

وأتاني: فتحي:

وهو يبكي لم أعرف منه حديثاً لأنه يبكي في صمت ظل فترة طويلة يبكي وأنا بجانبه في منزلي وقد أختل بنص قلبي ولم استطع أن أنطق بكلمة وبعد أن تعب من البكاء قال بصوت خارج من ركام الفقر واليأس والضعف والذل والعذاب : قال " رضيت بالغلب مارضيش بي"

حذفوا اسمي من كشف الأوقاف وأنا في مقام العاجز قلت له:

لك الله يا فتحي : قال : عرفت مستقبلي : بعد أن ضيعت عمري في وهم اسمه العلم . فالتعليم . جوعني . وعراني. وشردني.

قالت له : قلت عرفت مستقبلك فما هو : قال : الفأس والحمارة. قلت له : أهذا هو المستقبل.قال: أنا عمر بلا شباب أنا حياة بلا روح أنا دنيا بلا ربيع أنا وهم. أنا سراب ومضى فتحي ولم أعرف عنه شيئاً.

– وفي يوم الإنتحار خرج من المنزل ساكنا لم تبد عليه ملامح انفعالات. وكان ساكنا هادئا وخرج وكأن هذا السكون هو الذي يسبق العاصفة ل فهمت منه أنه سينفذ فكرته للازمته ومنعته لقد غاب عن موعد مجيئه المعتاد ولم نكن نظن انه الغياب الأبدي الذي لإلقاء بعده ولما غابت الشمس من الأفق بدأ القلق يساور أبي حتى صرح أبي بقلقه فتسلسل الفزع الى قلبي لأن حيث " ايمن " عن الإنتحار قفز الى فؤادي حين صرح أبي بالقلق خرجنا في اتجاهات نبحث عنه ومضى الليل وصدقني يا دكتور كأنه ليل القبور الذي ليس له نهاية ولا فجر له وفي الصباح أخبرنا بأنه مات غريقاً في ترعة النعناعية وحمل الى مشرحة مستشفى أشمون العام حتى خرج تقرير الطب الشرعي بأنه – أى أيمن – أراد ان يموت موتتين : بالسم والغرق معاً.

وبعد رحلة عزاب بين الشرطة والنيابة سؤال الملكين أرحم علينا من سؤال هؤلاء الجلاوزة وأغلق الملف الأسود بخاتم يعرفه كل واحد قتلته الحكومات المتعاقبة والتي خلقت عالماً من العاطلين اليائسين اليائسين بعد رحلة عذاب في دور التعليم.الأخ: يتحدث والوالد عيناه هطالتان بالدموع .

أيمن يعذب في قبره:

لقد قال أخوه لق رأيت رؤيا أفزعتني لقد رأيته في فمه خرطوم متصل بجوفه قال لي أن هذا الخرطوم الذي يتصل ببطني يعذبني فقمت من الرؤيا وأنا في غاية الحزن.

هذا صحيح فلقد أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعن ثابت بن الضحاك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قتل نفسه بشئ في الدنيا عذب به يوم القيامة)[1]

وورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ [2] بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلاً فيها ابداً ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها ابداً ومن تردي من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلاً فيها) [3]

لقد اسمعت والد " ايمن " وأخاه هذين الحديث فازداد والده في البكاء وهطلت دموعه وعلا نشيجه [4] وقال : ما الحل : إنني أعذب من الحزن في الدنيا وهو يعذب بإنتحاره فأبحث لي عن حل يرحمك.

باب من أبواب الرحمة

قلت له : ذرني خمسه ايام واتني على الله يفتح بابا من ابواب الرحمة ببركة شهر رمضان إن شاء الله. وقام الرجل يترنح كأن سهام نوائب الدهر تضرب الرجل وتطعنه وخفت من أن يسقط على وجهه بي أن ابنه كان تحت إبطه . يحمله وخرج الأب وأبنه وهو على باب المنزل : يذكرني بأنه سيأتيني بع خمسه أيام وقد بحثت له عن باب من أبواب الرحمة.

فأومات له برأسي دون أن أتفوه بكلمة : فلست متأكدا من ذلك ولكن لي أمل ورجاه حتى يرحم الرجل نفسه وإلا سيقتله الحزن.

---

(١) رواه مسلم

(٢) يطعن بها في بطنه

(٣) حديث متفق عليه

(٤) الصوت المتردد في صدره

امل بعد الرجاء

في اليوم الثاني : أخذت أقلب في كتب الحديث عن حديث فيه أمل فلم أجد وبع أربعة أيام أعيني الحيل فلممت في المكتبة الخاصة بي كتابين : الأول : كتاب " التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول" صلى الله عليه وسلم للشيخ منصور على ناصف : رحمه الله تعالي. وكتاب للعارف بالله الشيخ / محمد ابراهيم سالم: رضى الله عنه وأعطاه له الصحه والعافية . ومداره التصوف.فوجدت فيها فرجا:

أما الكتاب الأول فلقد ورد فيه حديث للإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه : وأن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل لك في حصين ومنعة - طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يهاجر الى بلاده - فأبى النبى صلى الله عليه وسلم للذي ذخر الله للأنصار فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدنية هاجر اليه الطفيل ورجل من قومه لمرض الرجل فجزع فقطع براجمته [١] بمشاقص [٢] فشخبت [٣] يداه حتى مات . فرآه الطفيل في منامه بهيئة حسنه مغطياً يديه فقال له: ما صنع بك ربك ؟ قال: غفر لي بهجرتي الى نبيه صلى الله وعليه وسلم فقال:مالي اراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت فقصها الطفيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم وليديه فأغفر) أما الكتاب الثاني: فقد قرأت للعارف بالله الشيخ / محمد ابراهيم سالم. من أن أرا أن يعتق رقبته من النار فيقل " لا إله إلا الله " سبعين ألف مرة.

ولما انقضت الأيام الخمسه أتى الوالد بعد صلاة العشاء في رمضان كان الوالد يتكئ على كتف ابنه وما زالت الدموع تسيل كما تركته فقال : لي هل فيه باب رحمه لا بني ؟

---

(١) البراجم: مفاصل الأصابع.
(٢) جمع مشقص وهو سهم عريض النصل.
(٣) نزفت

قلت : نعم . يا عم عبد الرازق.

قلت له : سأكلفك بأمرين:

أولا: " لا إله إلا الله " سبعين ألف مرة عن أبنك " ايمن " وفي نيتك أنها عن ابنك وبنيه عتق ابنك من النار .

ثانيا: تدعو له أن يعتقه الله من النار طوال صومك.وبعد أن تحافظ على ذلك : تأتي وتخبرني.

ذهب وهو يردد لا إله إلا الله في مجلسي وكل الأسرة صنعت لولدها المنتحر هذا الصنيع وقبل أن ينقضي شهر رمضان أتاني أخوه فقال لي : يا دكتور انتهينا جميعاً مما أمرتنا فعله.

ورأيت أخي: وقد تخلص من خرطوم للفم الذي يتصل بجوفه ووجدته يضحك لي فجزاك الله عنا خيرا.

ولقد سألت بعد ذلك عن أشرف فقالوا لا نعرف عنه شيئاً وقيل لقد التحق بجماعة لها فكرها الديني الخاص بها.

وحين أرشدت أهل " ايمن " الى ما يفعلونه لم أكن مخالفاً لسنه رسول الله صل اله عليه وسلم كما مر.

أما عن عدم الصلاة على المنتحر فكان هناك موقف في هذا الأمر:

أثناء إعارتي لجامعة الإمام محمد بن سعود في كلية الدعوة بالمدينة المنورة كان محل إقامتي قريباً من الحرم وأتوجه بعد الأذان مباشرة لأصلي في جماعة. و في أيام الحج خرجت قبل وقت المغرب بنصف ساعة فوجدت زحاماً شديداً في ساحة باب الملك فهد بن عبد العزيز حول حجرة من الرخام ينطلق منها صوت شيخ من مشايخ وزارة الأوقاف والحج بالمملكة العربية السعودية وسمعت الشيخ يجيب على سؤال هل يصلي على المنتحر صلاة الجنازة فقال لا يصلي عليه وتخطيت رقاب الناس وعرفت الشيخ بنفسي وهو يلقى محاضرته وأخرجت له بطاقة الإقامة وبها العمل الذي أقوم به وقلت له أن حديث النبي

عن صلاة المنتحر منسوخ. وانظر كتاب " بغية المحدج ورجع سبح عن فتواه في الحال وأقر بخطئه للناس وقال أن الذي أخبرني هو : الدكتور/ شحات حسيب الفيومي وهو أستاذ في كلية الدعوة وعلى عهدته أقول ان حديث النهي عن الصلاة على المنتحر منسوخ.

والمنتحر ليس كافرا بدليل انه يصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين .

لماذا الإنتحار في أمة الإسلام

الانتحار في هذه الإمة كان نادراً لأمرين:

الأول: من عقيدة المسلم الرضا بقضاء الله تعالي ومن التقوى والرضا بالقليل . في تعريف الإمام على كرم الله وجهه (التقوى هي : الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والإستعداد ليوم الرحيل)

الثاني: ان المسلم يدرك من دينه ان الله سيعذبه ان أقدم على الإنتحار.

هذان الأمران قللا من ظاهرة الإنتحار في أمة الإسلام وانتشرت تلك الظاهرة في العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة بسبب أن الأبواب سدت في وجوه الشباب الا باب واحد موجود لم يغلق هو باب الموت.

تقارير منظمة الصحة العالمية عن الانتحار:

(كل ٤٠ ثانية يفقد إنسان حياته منتحراً وأنه في كل سنه يذهب الى العالم الآخر مليون منتحر وأن النسبه الأكبر تقع بين الشباب ممن تتراوح أعمارهم بين (١٥) الى (٢٩) عاما وفسرت [١] ذلك بسبب سهولة الحصول على أسلحة ومن جانب آخر يرى المراقبون أن الإنتحار اصبح يمثل إحدى المشكلات الأساسية خاصة اذا علمنا ان ١,٥٪ من الوفيات على مستوى من المنتحرين كما أشارت الإحصائية ايضاً الى أن دولا مثل روسيا ولوتوانيا وأسبانيا ولا تنسيا بالإضافة الى المجر تشكل أعلى نسبه انتحار فقد شهدت أسبانيا على سبيل

---

(١) الضمير للكاتب عزت السعدني / جريدة الأهرام صـ ٨ في ١٥/١٠/ ٢٠٠٥

المثال انتحار (٤٢) شخصاً من بين كل (١٠٠) ألف شخص في الوقت الذي أقدم فيه نحو (٣٨) شخصاً من بين كل (١٠٠) ألف شخص على الإنتحار في روسيا وقد أرجع المحللون ذلك الى المتغيرات الإقتصادية التي تطرأ على هؤلاء الشباب والتي يتبعها لجوؤهم الى إدمان الكحوليات ثم الإقدام على الإنتحار والإنتحار سلوك متعد الدوافع ينشط حين يختل التوازن بين غريزتي الحياة والموت وهو لا يولد في لحظة تنفيذه او محاولة تنفيذه وإنما يتشكل أيضاً كخيار في طبقات الوعي الى أن يطفو فوق السطح وينشط في ظروف بعينها ليكون الخيار الوحيد فغالبية المنتحرين ٩٨٪ كانوا مصابين بأمراض نفسيه أو عضوية في حين أن نسبة ضئيلة جداً منهم ٢٪ كانوا أسوياء مما يعني أن ٢% فقط انتحروا مختارين.

فهناك ألف منتحر حول العالم كل يوم بحسبه ٤٢ منتحراً كل ساعة وهو ثامن سبب للوفاة في مجموع السكان في أمريكا حيث يقدر بشخص كل ٢٠ ثانيه أى ٢٥ ألف منتحر سنوياً وقد وجد أن أشهر مكان للانتحار هو جسر " البوابة الذهبية" في سان فرانسيسكو فقد انتحر من فوق هذا الجسر ٩٠٠ شخص منذ إنشائه عام ١٩٧٣ .

ولكن ماذا عن العالم العربي؟

أوضح التقرير أن الفقر أيضاً يؤدي إلى الشعور بالامتهان ويدفع الإنسان إلى التخلص من الحياة خاصة أن الشرائح الاجتماعية الدنيا لا يتحقق لها حماية ممتلكاتها ومكانتها الإجماعية المتميزة مع التفاوت في توزيع الدخل والثروة مما يؤدي إلى تضخم الشرائع الإجماعية .

الأضعف .وقد تدفع هذه التركيبة الى الأستكانة حتى بين المثقفين أو ذوي التعليم الأعلى وتدفعهم للانسحاب نهائياً من الحياة. وفي إحصائية نادرة عن حالات الإنتحار ونسبتها في الدول العربية نقرأ بالألم كل هذه الحقائق :

- في لبنان ينتحر سنوياً في حدود (٢٧٠٠) شخص
- في سوريا نحو (١٢٠٠) شخص

- وفي المغرب نحو (٣٢٠٠) شخص
- وفي الجزائر نحو (٢٨٠٠) شخص
- وفي مصر (٣٠٠٠) شخص
- وفي اليمن (٥٧٠) شخص

واقل الدول انتحاراً الإمارات والسعودية والكويت فالنسبه لا تتعدى ١٪ فقط لاغير . وفي بلادنا وآه ما يجرى في بلادنا من هم وغم وكرب عظيم . ينتحر ثمانية أشخاص كل طلعة شمس في أرقام وأحصاءت هيئة التعبئة والإحصاء ودافتر الأمن العام للعام قبل الماضي.

ولكن رقماً مرعباً ظهر " كالنجمة أم ديل" التي كانت تظهر لنا في سماء "شبين الكوم" عندما كنا صغاراً ويهرع الأولاد جرياً وتصرخ الفتيات... الشيطان يتحرق ياولاد النجمة أم ديل حرقته.ونجرى نسابق بعضنا البعض نحو الحقول أيام كانت هناك حقول دون جدوى لنرى الشيطان وهو يحترق ولكننا لا نجد الا سرابا.

الرقم الذي وقع هذه المرة فوق رأسي كالصعقة ورموس عقلاء القوم فينا يقول بل ويؤكد أن رقم المنتحرين والمنتحرات في بلدنا قد قفز في العام الواحد الى ١٢ الف حالة بعد أن كانت لا تتجاوز ٤ آلاف حاله كل سنه.

والدارسة تقول في ألم إن عدد الإناث المنتحرات أو اللاتي حاولن الأنتحار يمثلن ٦٨٪ من نسبه المنتحرين مقابل ٢٢٪ للذكور . أخطر ما قيل : أن هذه النسبه تجعل القاهرة تتفوق على باريس في عدد من يقبلون على الانتحار [١]

ولقد سأل الأستاذ/ عزت السعدني سؤلاً وأجاب عنه:

---

(١) جريدة الأهرام صـــ٨ بتاريخ ٢٠٠٥/١٠/١٥ تحقيق الأستاذ/ عزت السعدني.

لماذا ينتحر الناس في مصر؟

عوزاً أم جوعاً أم فقراً أم حاجة أم عرضاً ؟ أم فشلاً أم اكتئابا ؟ آخر الأرقام تقول : أن ٣٢٪ من الناس في مصر أصبحوا تحت خط الفقر.

لماذا يطرق الناس هذه الباب الأسود الذي اسمه الانتحار تخلصاً من حياة بلا ثمن حياة بلا أمل بلا رحمه وسط عالم من وحوش ضارية يأكلون بعضهم بعضا ولا يتركون إنساناً في حاله إلا بعد أن يجردونه من كل خير ناله ويسعدون لكل شر نابه.

شباب يائس بلا عمل :

بنات تجاوز عدد من طالتهن يد العنوسة : أربعة ملايين .فتاة في سن الخامسة والثلاثين بلا زواج وبيوت هجرها الرجال وطفش منها الآباء ولم يعد للبيت رب يحميه. فتسللت أفاعي الشر اليه ليصبح الانحراف معبوداً والخلاعة والمجون أغنية وفيلماً والسيجارة والشيشة رجولة وفرنجة وتحضرا والإدمان عادة والنهب والسرقة والفهلوة والضحك على الذقون فضيلة من الفضائل.

واستشرى الفساد في البر والبحر ولم يعد له ضابط أو رابط أو مراقب وغلاء يكوى الغلابة ويحرق آخر ربع جنيه في جيوبهم ودخول يا دوب تكفي الكفاف والبعد عن سؤال اللئيم وحكومة تذهب وحكومة تجئ.وكما تذهب حكومة بهمها تجئ حكومة بكربها ووعود وورود وزفة انتخابية في الطريق الى مجلس النواب حيث الأبهة والقيمة والإمارة والعبارة والرزق الوفير.

ودروس خصوصية تعلن موت العملية التعليمية وتقصم ظهر الموظفين الغلابة. وعلاوات يشفطها الغلاء ورفع الأسعار عيني عينك كل يوم وكل ساعة وكل سلعة أولا بأول. وتسألون بعد ذلك لماذا ينتحر المصريون؟

ويقول الأستاذ / عزت السعدني في تحقيقه الذي نحن بصدده تيارات عربية *:

ومن وجهه نظر علماء المجتمع فإن الإنتحار له أسبابه :

١- الإصابة بمرض الإكتئاب.

٢- الكبت العاطفي.

٣- البطالة.

٤- المشاكل الأسرية.

٥- المرض العضال الذي لا شفاء فيه.

٦- القهر في الوظيفة او الاضطهاد السياسي او الخسارة في المال التي لا يتحملها أحد.

من مشاهير المنتحرين :

ذكر الأستاذ/ عزت في تحقيقه : كليوباترا أشهر ملكة في التاريخ المصري بعد الملكة حتشبسوت انتحرت حبا وغراماً بعد أن خسر حبيبها مارك أنطونيو الحرب والتاج والشرف العسكري وذكر روميو الذي يحمل اسمه كل عاشق وكل محب يشرب السم بعد رحيل "جولييت" وذكر :" عبد الحميد شتا الشاب المصري".

هذا الشاب المصري النابغة الذي خرج من قرية الغرباوي بالدقهلية وكان الأول على دفعته طوال حياته الدراسية وكان الأول على دفعته طوال حياته الدراسية حتى الجامعة التي تخرج فيها في كلية " الإقتصاد والعلوم السياسية " وعندما تقوم لإمتحان الملحقين التجاريين نجح وكان الأول ولكنهم لم يقبلوه . لماذا؟ لأنه غير لائق لجتماعياً.

الصحافة المصرية أطلقت على " عبد الحميد شتا" وهو واحد من أبناء البطة السوداء الذين لاسند لهم ولا ظهر في هذا البلد " شهيد الإحباط".

ثم يجئ اسم جديد في كشوف أشهر المنتحرين : هو غازي كنعان وزير الداخلية السوري الذي صنع انتحاره لغزا وطلسما كبيراً وذلك في الإثارات التي تثيرها لجنة (ميليس) التي تحقق في قضية قتل الحريري رئيس وزراء لبنان الأسبق.

مفتاح لأغلاق باب الإنتحار

لقد خلق الله الإنسان في تلك الحياة ليعمل فيها وابتلاه قال تعالي والذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) (١) ومن هذا البلاء أنه يكابد الحياة قال تعالي (لقد خلقنا الإنسان في كبد)(٢) اللام في قد واقعة في جواب قسم محذوف والمراد بالإنسان جنس الإنسان والمعنى والله لقد خلقنا الإنسان في نصب أى تعب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الأخيرة.

هذه هي الحقيقة التي أخبرنا بها خالقنا. وهذه الحياة دار ممر وليست دار مستقر وهي مزرعة للآخرة والغاية منها أنها للغرس والآخرة للحصاد . فأذا كانت مرة فمرارتها لا تدوم وأن كانت حلوة فحلاوتها لا تدوم فيوم مرض وأخر صحه ويوم حزن ويوم فرح وحتى لا يتسلل اليأس الى نفوسنا علينا أن نتوخى هذه الأمور:

أولا : الإيمان بالله ايمان يبدد كل شك ويمحو كل ريب ويبدد كل قنوط ويجب أن نؤمن بما قدره الله تعالى وهذا عبادة بن الصامت يرشد أبنه الى هذا الإيمان قال لابنه (يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله القلم فقال له : أكتب فقال : رب وماذا أكتب فقال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة . يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. من مات على غير هذا فليس منى)(٣) عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر)(٤)

---

(١) سورة الملك : آيه

(٢) سورة البلد : آيه ٥

(٣) رواه أبو داود والترمذي

(٤) رواه الترمذي

الثاني : أن الإنسان اذا رزق الصحة والعافية وعنده قوت يومه فكأنه ملك الدنيا وما فيها . فعن عبيد الله بن محصن الإنصاري الخطمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم آمنا في سربه معافيً في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[1]

فاذا كان الإنسان يتلذذ بالعافية ويصبح آمناً في بلده عنده طعامه فكأنه ملك الدنيا. وما الذي يريده من الدنيا سوى هذه الأشياء ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم معنى آخر فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس لأبن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء)[2] فهذه الأمور التي لاغني عنها وماذا يفعل الإنسان بالمال بعد الغذاء وبعد الكساء وبعد الإيواء فربما يأتي المال يجري كالأنهار ويصب في البنوك في مصب باسمه ويحمل معه البلاء من أمراض ورزايا فيحرم عليه الأطباء أنواعاً من الأطعمة وقبل الأكل يتناول حفنة من الأدوية ووسط الأكل يأخذ مثلها. وفي نهاية الأكل كذلك وبين الوجبة والوجبة يتناول أنواعاً أخرى من الأدوية وإذا أتى زوجته ينزل ماءه بألم كماء النار ليس فيه لذة.

وقد يغسل في الأسبوع مرتين غسيلاً كلوياً.

فلذا كان هذا مع الملايين فلا قيمة لها ولا لذة في وجودها ويكفي أن الثروة عبء على الأسنان سيسأل عن كل قرش من أين أكتسبه وفيما أنفقه وهل ادى زكاتها.

أما إذا كانت الصحة ومعها قوت قليل وأمن وكانت الحياة كفافاً وشعوراً بلذة أى طعام فهذه هي المتعة واللذة والفلاح . فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله بما آتاه)[3]

---

(١) رواه الترمذي
(٢) رواه الترمذي
(٣) رواه مسلم

وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول (طوبى لمن هدى الى الأسلام وكان عيشة كفافاً وقنع) [1] فيجب الرضا بالرزق وإن كان كفافاً والرضا نعمه من أعظم النعم التي تريح الإنسان.

وهذان نموذجان عايشتهما : النموذج الأول :

كنت طالباً في المرحلة الثانوية وقد اعتدت أن أذاكر معظم نهاري في الحقول والمزارع وفي آخر النهار أعرج على "زاوية" كانت تسمى مسجد الشرطة أصلى المغرب وأنتظر صلاة العشاء وأنا أذاكر ما بقى من جدول المذاكرة في ضوء مصباح كهربي ضعيف وأعتاد رجل في الخامسة والستين ان يجلس ينتظر صلاة العشاء اسمه عم (محمد قنبر) كان يعمل عند رجل قريب من الزاوية اسمه الحاج (كمال يس) كان يرعى له الماشية وكان (عم محمد) مرتبطاً بعمله ومن شدة ارتباطه بعمله نويت صلاة المغرب وكنت إماما لبعض الطلاب في المرحلة الثانوية وأذكر منهم:

الأستاذ/ مرزوق محمد رويشد – وأخاه الأستاذ/ سعيد رويشد والمقدم/ عبد العظيم عباس زلابيه والأستاذ/ أحمد محمد حماده والحاج/حمدان السيد عبد المطلب والأستاذ/ أحمد محمد دومه. والأستاذ/ الفاضل والذي نحسبه على خير/ ونسأله الدعاء الشيخ عبد السميع أبو عجاجه فحين تضيق بنا الدنيا نرسل اليه راجين من الدعاء رضى الله عنه.

كنا في صلاة المغرب وكان بينهم (عم محمد) فكبرت تكبيرة الأحرام وكبروا جميعاً وقبل ان أقرأ الفاتحة قال (عم محمد) وهو في الصلاة بعد تكبيرة الأحرام (العجول شربت ولا ما شربتش) وتفككت الصفوف وعلت الأصوات من الضحك ووجد الشيطان ميدانا لعمله وصلى كل واحد بعيداً عن الآخر.

ومرت الأيام وتفرق هؤلاء الى كلياتهم وتخرجوا وأنا الذي بقيت في الزاوية وحدى لأكملُ مشوار الدارسات العليا فكان الرجل العجوز الذي تمثلت

---

(١) رواه الترمذي

فيه الفطرة البشرية هو الذي يلازمني في ما بين المغرب والعشاء. وافتقدته ثلاثه أيام وفي اليوم الرابع رأيته آتيا يتوكأ على عصاه فاستقبلته بلهفة أين كنت يا عم محمد قال لقد نطحني العجل فوجدت جرحاً غائراً فوق جفن عينه وفي حاجبه وظل الرجل طوال مدة من الأيام يضمده بالماء دون استخدام الأدوية وفي يوم أقترب مني فشممت رائحةً تشبه رائحة الجثث الآدمية.فأدركت أن مصدرها جرح الرجل . فقلت له يا عم محمد أذهب الى المستشفى فقال : وهي حاجه بسيطه" وآثرت أن لا أذهب الى الزاوية خوفاً من رؤية الرجل والتقيت بعد عشرة أيام فوجدت الجرح قد التأم وتغطيه قشرة حمراء فقلت له ذهبت الى المستشفى يا عم محمد قال: ربنا شفاني ولا رحت ولا جيت"

بعد أن عملت مدرساً في الجامعة التقيت به فقال لي أن الرجل الذي كان عنده استغنى عنه وكنت وقتها قد اشتريت قطعة أرض لبناء منزل عليها ووضعت الأساس والدور الأول قلت: عم محمد يأكل عيشاً ويجلس بجانب الخشب وليس للمنزل بوابه فأتى الرجل وظل بالمكان.

الرضا المطلق:

كنت اعلم أنه يجمع أعقاب السجائر ويلفها في ورق سجائر ويلفها في ورق سجائر ويدخنها وعيشة الرجل تحت الصفر بمائه درجة .

فكنت كل يوم أتى له بطعام يكفيه يومين وانقطعت عنه لمرض ألم بي وظل الانقطاع أسبوعا.

فأتيته بالطعام وعلبه السجائر وكان الوقت بعد المغرب فى سلمت عليه . وكان لصوته بحه في استقبالي فاستقبلني بها وهو انت سافرت " قلت لا يا عم محمد أنا كنت مريضاً وانطلق من الرجل سيل من الدعاء لي بالشفاء ووضعت الطعام بين يديه فقال لقد أكلت قلت له أرني ما كنت تأكله قال :" الخير كتير والله العظيم" فوجدت بعض الأرغفة التي صارت " شقفاً القلل التي تكسرت " فيبلها بالماء ويأكلها بالملح وبالمناسبة عم محمد ليس له أسنان بل يأكل على

دراديره خجلت من نفسي وهو يطلق من قبله ولسانه كثيراً من كلمات الشكر لله والمدح والثناء على الله.

النموذج الثاني:

وأنا طالب في المرحلة الثانوية ونحن في اجازة الصيف كنت أجلس على كرسي في شوارع مدينتا وهي مدينة كانت عائمة على محيط من مياه المجاري فافهم أيها القارئ ما يترتب على ذلك ومنذ ميلادها لم يأت لها مسئول ينتشلها فلا تستطيع أى سيارة أن تعبر أى شارع فيها. حتى قيض الله لها اللواء " ابو المعاطي الدكروري" رئيساً لها. فبعثها من جديد وجعلها اجمل مدينة في دلتا النيل ولم يعبأ الرجل بجيوش المحاربين للنجاح جعل الله له هذا في ميزان حسناته وأطال في عمره وبارك في عقه ونسأل الله ان يجعل مصر كلها " أبا المعاطي الدكروري وهذه دعوة بظر الغيب فلا هو يعرفني ولم أجلس معه.

نعود الى الجلوس على الكرسي في الشارع:

جلست وأتى جار لنا انتقل الى رحمة الله تعالي فجلس بجانبي ومرت أمرأة تحمل طستاً فوق رأسها وتنادي على " التين الشوكي) فنادى عليها جارنا فأتت على استحياء ووضعت الطست فقال جارنا بكم ؟ قالت: ثلاثة كيزان بقرش قال لها : أربعه كيزان بقرش فأستجابت نظرت اليها بعد أن سألها الجار وكانت نظره فجأة فعرفت أنها من (الشرقوة) وكنا نطلق عليهم (الزلم) كانوا يأتون من محافظة الشرقية الى قرى الدلتا ليعملوا في (دق الأصلة) وهي تخليص حب القمح من العصف وكان ذلك بعد عمل (النورج) فيأخذون نصف حب الأصلة والفلاحون لهم النصف. وهؤلاء لزلم يأتون بنسائهم وأولادهم فالنساء بعضن يبعن التين الشوكي وكانت منهم تلك المرأة. وجدت في نظرة الفجأة كأن وجهها خلقه الله من الشفق فصرفت بصري وسألها جارنا هل التين ودق الأصلة يعيشكم؟ فقالت بصوت كله حزن نعم.

وإن زادت النعم عن ذلك " تغرج" تريد تغرق أرادت ان سفينه الحياة لو زادت حمولتها غرقت.

سبحان الله.

فهذه المرأة أثرت هذه الحياة على حياة الترف .

الثالث : أن يتعود الإنسان ان لا ينظر الى من فوقه فأن هذا يفتح أمامه باب اليأس وعدم الرضا ولقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا الأمر فعن أبي هريرة (ﷺ): انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمه الله عليكم) متفق عليه.

نداء إلى أهل مصر:

- عود الثقاب : رأيته من انتاج الصين وباكستان.
- الولاعة : رايتها من انتاج الصين.
- انواع الملابس لا حصر لها من الصين.
- فانوس رمضان بالأصوات المختلفة من الصين
- اطارات السيارات من الصين
- سيارات من المانيا وامريكا وفرنسا واليابان وكوريا وروسيا وايطاليا .
- ونستورد القمح من أمريكا التي وقحت الحرب الصليبية على الإسلام والمكسيك واستراليا .
- اصبحت بلادنا المصرية : سوقا لدول العالم ولكل المنتجات.
- وأقل المنتجات كالأقلام الجافة وادوات الكتابة تاتينا من دول العالم حتى الملح (ماسا) يأتينا من خارج بلادنا.
- ويا أهل بلدي ويا اهلي:

يا معشر الشباب.

في يوم الجمعة الموافق ١٠ من صفر ١٤٢٧ هـ الموافق ١٠ من مارس ٢٠٠٦م.

وعلى موجات اذاعة جمهورية مصر اعلن الأستاذ/ خربوش بأن الدولة فتحت أبواب القروض لجميع الشباب وهي ميسرة وفي حاله عدم المقدرة على السداد و بأدلة صحيحة ومقبولة ستسددها الدولة هذه القروض في المجالين الصناعي والزراعي وأرض ستمنح للراغبين.

فيا معشر الشباب : لا حجه لكم وأصنعوا كما صنع الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف . ولا تحملوا أسركم ولا دولتكم اعباء ثقيلة.

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

